مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلّةٌ - إسلامِيَّةٌ - ثَقافِيَّةٌ - جامِعَةٌ - مُحَكَّمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّة الدَّعْوَة الإِسْلَامِيَّة

العددان الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون

لسنة 1439 – 1440 الهجرية الموافق: 2017 – 2018 الميلادية

ظاهرة العلمانيّة في المجتمعات الإسلاميّة المعاصرة

أ. داود عبد الكريم زكريّا
معهد البيان للدراسات العربيّة والإسلاميّة
إلورن، ولاية كوارا - نيجيريا

مُقدِّمة

الحمد للَّه والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمُرسلين، محمَّدٍ صلّى اللَّه عليه وسلَّم وعلى آله وصَحْبه وبعد...

فقد تناول هذا البحث ظاهرةً كانت عميقة الجُذور، وبعيدة المَدَى، وخطيرة المواجهة في حياتنا المعيشة. وهي ظاهرة تُحارب المُقدَّسات الدِّينيَّة والقِيَم الإنسانيَّة من النَّاحية الفِكريَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والسُّلوكيَّة والثَّقافيَّة والمَعْرفيَّة... وكانت البلاد تشكو من ويلاتها على علّاتها، وضحاياها تتطلَّع إلى التَّحرُّر السَّريع من ربقتها، ولكن الأسباب انقطعت، والسُّبل مَسْدودة أمامها للوقوف صامدةً ضدّ هذه الظَّاهرة التي كان شرَّها مُستطيرًا في كُلّ المُجتمعات المُعاصرة. وهي، وإنْ كانت تُحارب الأديان على وجه العُموم في بداية أمرها، إلَّا أنَّ نسبة مُحاربتها للإسلام أرفع وأشدّ من مُحاربتها للأديان الأُخرى؛ لأنَّها وجدت سُرعة التَّقبُّل من الدّيانتين المسيحيَّة واليهوديَّة، بناءً على الانحراف الذي أصاب عقائدها وتعاليمها منذ زمنٍ بعيدٍ.

ومن هُنا بقي الإسلام في ميدان الحرب مع العِلْمانيَّة، ودخل في صِراعٍ

فكريٍّ مريرٍ معها بين الفَيْنة والأُخرى. ولمَّا كانت الأمَّة الإسلاميَّة هي المنشودة بذاتها، وأصبح في هذه الأُمَّة ضحايا للعلمانيَّة في كُلّ قطرٍ؛ حيث تمَّت عَلْمَنَتها في كُلّ مجالات الحياة الإنسانيَّة. وهي مُعَلْمنة في تفكيرها وتعليمها ونظرتها ومشيتها وسُلوكها وأكلها وشربها، وفي بيعها وشرائها... بعد المؤامرات الغربيَّة الشَّرسة التي توجّهت نحو الشَّرق الإسلاميّ لغزو المُسلمين وبلادهم على اختلافها.

ومن ثمّ، يأتي دور هذا البحث لتسليط أضواء البيان على ظاهرة العِلْمانية من حيث مفهومها ونشأتها وأسباب وجودها وانتشارها في المُجتمعات الإسلاميَّة المُعاصرة، والآثار التي تركتها لنا في هذه المُجتمعات والموقف الإسلامي الصَّامد من الظَّاهرة.

وليس معنى ذلك أنَّني أوَّل من يكتب في هذا المجال، فقد تطرَّقت أقلام باحثين آخرين إليه قبلي، ولكنَّني حاولت الانضمام إلى صفِّهم، والدُّخول في قائمتهم بإنجاز هذا العمل المُتواضع تشبُّهًا بهم إن لم أكن مثلهم.

المبحث الأوَّل:

مفهوم «العلمانيَّة» وإشكاليَّة المُصطلح في الفكر العربيّ والغربيّ

أوَّلاً - مفهوم «العلمانيَّة» وإشكاليَّة المُصطلح في الفكر العربيّ

إنَّ مُصطلح «**العلمانيَّة**» من المُصطلحات الحديثة المُعقَّدة التي لا أصل لها في أُمَّهات الكُتب التي تناولت الكلمات العربيَّة بالتّفصيل من حيث تحديد أُصول اشتقاقها، وبيان أوجه استعمالها. وفي لِسان العرب لابن منظور مثلًا ـ وهو من أمَّهات المعاجم العربيَّة القديمة ـ ومثله الصِّحاح للجوهري، ومقاييس اللُّغة لابن فارس، ومختار الصّحاح للرَّازي، وأساس البلاغة للزَّمخشري، والمصباح المنير للفيّومي، وتاج العروس للزّبيديّ، لا يكاد يجد الباحث أثرًا ملموسًا لهذا المُصطلح لحداثته وغرابته لفظًا ومعنًى؛ ولهذا تعب الباحثون كثيراً في البحث عن نسبته وتحديد أُصوله الاشتقاقيَّة، وتكلَّفوا في نِسبته إلى غير أصله.

وقد أرجع بعض الباحثين أُصول اشتقاقه إلى «العِلم» الذي هو ضدّ الجهل، المُكوَّن من الحُروف الثلاثة (ع ل م)، ثم زيد فيه الألف والنُّون قبل ياء النَّسب المُشدَّدة فصار «عِلْمَانِيّة» بكسر العين، مثل: روحانيّ، ونحو ذلك[1]، بينما أرجع الآخرون نسبة المُصطلح إلى «العَالَم» ثمّ صار «عَلْمَانِيّة» بفتح العين، بعد حذف الألف من أصل الكلمة، وزيادة الألف والنُّون قبل ياء النّسب المُشدَّدة[2].

بَيْد أنَّ نسبة «**العِلمانيَّة**» إلى «**الْعِلْم**» أو إلى «**الْعَالَم**»[3]، نِسْبة غير صحيحة ولا دقيقة؛ لعدم سلامتها من النَّقد العِلْميّ من حيث اللَّفظ والمدلول. ويظهر للقارئ خطأ هذه النِّسبة المُتكلِّفة في النِّقاط الآتية:

1 - أنَّ التَّرجمة الصَّحيحة لكلمة «**العِلْمانيَّة**» في اللُّغة الإنجليزيَّة هي: «Secularism» التي تعني: الدّنيويَّة، واللَّادينيَّة. ولا عَلاقة لها بكلمة «**الْعِلْم**»[4]، التي تعني «Science» لا من قريب ولا من بعيد. ولو كانت

(1) يُنظر: د. يوسف القرضاوي، **الإسلام والعلمانية وجهًا لوجهٍ**، مكتبة وهبة للنّشر، ط7، 1997م، ص45. وعلي بن نايف الشّحود، **موسوعة الرّدّ على المذاهب الفكرية المعاصرة**، دون تاريخ، ج15، ص465. ود. سناء كاظم كاطع، مستقبل العلمانية في العراق، **مجلة كلية التّربية**، العدد الرّابع، دون تاريخ، ص241.

(2) يُنظر مثلًا: إبراهيم مصطفى وآخرين، **المعجم الوسيط**، مَجْمع اللُّغة العربيَّة، مكتبة الشُّروق الدّوليَّة للنَّشر، جُمهوريَّة مصر العربيَّة، 1425هـ/ 2004م، ص654. وهو أوَّل معجم في اللُّغة العربيَّة ورد فيه هذا التعبير. فقد جاء في هذه الطبعة: (العَلْمَانِيُّ): نسبة إلى العلْم، بمعنى العالَم، وهو خلاف الدِّيني، أو (الكهنوتي). وإلى هذا الاتِّجاه ذهب جُلّ الباحثين. يُنظر: د. محمّد علي البار، **العلمانيّة جذورها وأصولها**، دار القلم، دمشق، ط1، 1429هـ/ 2008م، ص26. وإيمان طلال أحمد المقادمة، **العلمانية المعاصرة - مخاطرها وسبل مواجهتها**، بحث مُقدَّم للحُصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية بالجامعة الإسلامية-غزة، 1435هـ/ 2013م، ص4.

(3) المرجع السابق، ص654.

(4) إنَّ نِسْبة «العلمانيَّة» إلى العلم خطأ واضح؛ لأنَّ الذين ابتدعوا هذا المُصطلح لم يقصدوا به العلم، وإلّا لما استخدموا «Secularism» في ترجمته، ولاستخدموا في ذلك كلمة «Scientism» التي هي التَّرجمة الصَّحيحة للعلم. ولذا، فإنَّ نِسْبة المُصطلح إلى العلم فيها تضليل وتعمية للحقائق.

كلمة «**العلمانيّة**» مشتقّة من «**الْعِلْم**» لكانت ترجمتها الصَّحيحة في اللُّغة الإنجليزيَّة «Scientism».

2 - أنَّ كلمة «**الْعَلْمَانِيَّة**» بفتح العين، مع زيادة الألف والنُّون نِسْبة غير دقيقة في اللُّغة العربيَّة؛ لأنَّ زيادة الألف والنُّون غير قياسيَّة في اللُّغة العربيَّة؛ أي: في الاسم المنسوب، إنَّما جاءت سماعًا مثل، «**ربَّانيّ**» نِسْبة إلى «**الرّبّ**». ثمّ كثرت في كلام المُتأخِّرين؛ كقولهم: «**روحانيّ**» نسبة إلى «**الرّوح**»، و«**نفسانيّ**» نسبة إلى «**النّفس**»، و«**نورانيّ**» نسبة إلى «**النُّور**». واستعملها المُحدثون في عِباراتهم، مثل: «**عقلانيّ**» نِسْبة إلى «**العقل**»، و«**شخصانيّ**» نِسْبة إلى «**الشخص**»[1].

3 - أمّا القول بأنَّ كلمة «**العَلمانيّة**» بفتح العين مأخوذة من «**العَالَم**» التي تعني: «Universe» أو «World» في اللُّغة الإنجليزيَّة فباطل، يظهر بطلانه في أنَّها لو كانت مأخوذةً من «**العَالَم**» لكانت مكتوبة ومنطوقة «**عَالَمَانِيّة**»، وذلك على افتراض جواز زيادة الألف والنُّون ـ قياسًا ـ قبل ياء النَّسب المُشدَّدة كما شاعت في ألسنة المُحدثين. ولا يقول بذلك إلّا جاهلٌ بحقائق اللُّغة العربيَّة الأصيلة[2].

فعلى كُلّ ما تقدّم يتبيَّن لنا مَدَى ضبابيَّة المُصطلح وإشكاليَّته، وأنَّه ليس من العربيَّة في شيءٍ من حيث الاشتقاق والاستعمال، فلنبحث من جديدٍ عن نسبته وأصله الاشتقاقي والاستعمالي في المعاجم الأجنبيَّة الغربيَّة؛ إذ إنَّ الغرب أنفسهم هم روَّاده، وهم الذين ابتدعوه ورعوه حقّ رعايته، وروَّجوا -وما زالوا يُروِّجون- له بين شعوب العالم بأسره.

(1) يُنظر: د. يوسف القرضاوي، **الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه**، مكتبة وهبة للنَّشر، ط7، 1997م، ص42.

(2) ثمَّ لكانت ترجمتها أيضًا إلى «Universality» أو «Worldly» لا إلى «Secularism» في اللُّغة الإنجليزيَّة.

ثانيًا - مفهوم «العلمانيّة» وإشكاليّة المُصطلح في الفكر الغربيّ

فإذا ما حدث أنْ سلَّط الباحث أضواء البيان على أنَّ نِسْبة «**العلمانيّة**» إلى العربيَّة نِسْبة غير صحيحة، وأنَّ ترجمة الكلمة اللَّاتينيّة «Secularism» بمعنى: «**الْعِلْم**» أو «**العَالَم**» في اللُّغة العربيَّة ترجمة غير دقيقة، بل هي خطأ فاحش وقع فيه أولئك المُترجمون عند نقل الكلمة إلى العربيَّة جهلًا منهم بلا شُعورٍ[1]، لم يبقَ لنا شيءٌ بعدئذٍ في هذا المِضْمار سِوى أنْ نبحث عن المفهوم الحقيقيّ للمُصطلح في الفكر الغربي. فنقول كما وَرَد في معجم أوكسفورد (Oxford Dictionary) للطُّلَّاب المُتقدِّمين شرحاً لكلمة «Secular» التي تُقابل كلمة «**العلمانيّ**» في العربيَّة أنَّها: صِفَة، ليست مُرتبطة بالأُمور الرُّوحيَّة والدِّينيَّة. تقول: الموسيقى العلمانيَّة «Secular music»، ولنا مُجتمع علمانيّ «Ours is a secular society»[2]، أي: دنيوي أو مادي، وليس دينيّاً ولا روحيّاً. ثمّ فُسِّرَتْ كلمة «Secularism» التي تُقابل كلمة «عِلْمانيَّة» في العربيَّة بأنَّها: الاعتقاد بأنَّ الدِّين يجب ألَّا يتدخَّل في تنظيم المُجتمع والتَّربية وما إلى ذلك[3]، كما فُسِّرَتْ كلمة «Secularization» التي تُقابل كلمة «عَلْمَنَةٌ» بأنّها: عَمَليَّة إزالة التَّأثير أو القوَّة الذي يملكه الدِّين على الشّيء. وأمَّا الفعل «Secularize» المُشتقّ من كلمة «Secularization» والذي يُقابل الفعل الماضي الرُّباعي «عَلْمَنَ» بعد تعريبه، فمعناه في المعجم نفسه: صَرْف الشّيء من سيطرة الدِّين أو تأثيره[4].

---

(1) ولعلّ سبب وقوعهم في هذا الخطأ كما قال الدكتور يوسف القرضاوي «أن الذين تولّوا الترجمة، لم يفهموا من كلمتي «الدِّين» و«العلم» إلَّا ما يفهمه الغربي المسيحي منها. والدِّين والعلم في مفهوم الإنسان الغربي، مُتضادان مُتعارضان، فما يكون دينيًّا لا يكون عِلْميًّا، وما يكون عِلْميًّا لا يكون دينيًّا، فالعلم والعقل يقعان في مقابل الدِّين، والعلمانيَّة والعقلانيَّة في الصف المُضاد للدِّين». **الإسلام والعلمانية وجهًا لوجهٍ**، مرجع سابق، ص42-43.

(2) يُنظر: **أوكسفورد: قاموس أوكسفورد للطُّلَّاب المُتقدِّمين**، ط8، مطبعة جامعة أوكسفورد، ص1334.

(3) يُنظر: المرجع السّابق، ص1334.

(4) يُنظر: المرجع السّابق، ص1334.

وفي القاموس المُزدوج: تُرجمت كلمة «Secular» بأنّها: عالميّ ودنيويّ وعلمانيّ (غير ديني)، ومدنيّ، وقرنيّ، ودهريّ، وزمانيّ: حادث مرَّة كُلّ قَرن، أو كُلّ عدَّة قُرون[1].

ويقول «وبستر» (Webster) في قاموس «العالم الجديد» شرحًا للمادَّة نفسها بأنَّها:

1 - الروح الدنيويَّة، أو الاتِّجاهات الدنيويَّة، ونحو ذلك على الخُصوص: نظام من المبادئ والتطبيقات «Practices» يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة.

2 - الاعتقاد بأنَّ الدِّين والشؤون الكنسيَّة، لا دخل لها في شؤون الدولة، وخاصَّة التربية العامَّة[2].

وورد في «المعجم الدولي الثالث الجديد» في مادَّة: «Secularism» أنَّها:

«اتِّجاه في الحياة أو في أيّ شأنٍ خاصٍّ، يقوم على مبدأ أنَّ الدِّين أو الاعتبارات الدِّينيَّة، يجب ألَّا تتدخَّل في الحُكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات، استبعادًا مقصودًا، فهي تعني مثلًا السياسة اللَّادينيَّة البحتة في الحُكومة»[3]، «وهي نظام اجتماعي في الأخلاق، مؤسس على فكرة وجوب قيام القِيَم السلوكيَّة والخُلقيَّة، على اعتبارات الحياة المُعاصرة والتَّضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدِّين»[4].

وهذه التّعريفات والتّفسيرات كُلّها ترينا أنَّ التَّرجمة الصّحيحة «للعلمانيَّة» عند نقلها إلى العربيَّة بأبسط صُورةٍ هي أن نقول: الدّنيويَّة أو اللَّادينيَّة أو

(1) أديبة فرح وآخرون، **القاموس المزدوج**، إعداد مكتبة الدراسات والبحوث، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1427هـ/ 2006م، ص653.

(2) يُنظر: وبستر، **قاموس العالم الجديد**، نقلًا عن: د. يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص43.

(3) يُنظر: **المعجم الدّولي الثالث**، نقلًا عن د. يوسف القرضاوي: **الإسلام والعلمانيّة وجهًا لوجه**، المرجع السابق، ص42.

(4) يُنظر: المرجع السّابق، ص42.

الماديَّة. وهي بهذا الوصف تَحْمل معنى مُقابلًا ومُضادًّا للأُخرويَّة. أو نقول بمعنى أخصّ: هي ما لا صلة له بالدِّين، أو ما كانت عَلاقته بالدِّين عَلاقة تضادٍّ[1].

وممَّا يجعل الأمر أكثر وضوحًا في هذا الحَقْل الدِّراسيّ ما قالت به دائرة المعارف البريطانيَّة في تفسير «العلمانيَّة» في مادَّة «Secularism» أنَّها: «حركة اجتماعيَّة، تهدف إلى صَرْف النَّاس، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة، إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، وذلك أنَّه كان لدى النَّاس في العُصور الوسطى، رَغْبة شديدة في العُزوف عن الدنيا، والتأمُّل في اللَّه واليوم الآخر، وفي مُقاومة هذه الرغبة طفقت الـ «Secularism» تعرض نفسها من خِلال تنمية النزعة الإنسانيَّة؛ حيث بدأ الناس في عَصْر النهضة يظهرون تعلُّقهم الشَّديد بالإنجازات الثَّقافية والبشريَّة، وبإمكانيَّة تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة. وظلّ الاتِّجاه إلى الـ «Secularism» يتطوَّر باستمرار خِلال التَّاريخ الحديث كُلّه، باعتبارها حركة مُضادة للدِّين، ومُضادة للمسيحيَّة»[2].

ومن هُنا يتّضح أنَّ «**العلمانيَّة**»: فكرة تَسْعى وراء توجيه الاهتمام إلى الدّنيا وحدها، وصَرْف الاهتمام عن الآخرة، وإقصاء الدِّين عن الحياة، أو إقامة الحياة على غير دين، وإبعاد الرُّوح عن المادَّة. وقد يكون هذا بمُجرَّد استبعاد الدِّين من توجيه شؤون الحياة الدُّنيا في السِّياسة والاقتصاد والعلم والأخلاق والتَّربية، أو بإسقاط الدِّين بالكُليَّة، واعتباره أفيونًا للشُّعوب يُخدِّرها عن الاهتمام بحياتها التي لا حياة بعدها[3].

(1) يُنظر: المرجع السّابق، ص42.

(2) دائرة المعارف البريطانيَّة، نقلًا عن د. يوسف القرضاوي: **الإسلام والعلمانية وجهًا لوجهٍ**، المرجع السّابق، ص43.

(3) يُنظر: د. أحمد عبد الرَّحيم السايح، **مواجهة الغزو الفكريّ ضرورة إسلاميَّة**، مركز الكتاب للنَّشر، القاهرة، دون تاريخ، ص110-112.

المبحث الثّاني:
نَشْأة العلمانيّة وأسباب ظُهورها في المُجتمع الأُوروبيّ

بعد الإشارة إلى أنّ العلمانيّة ليست من العربيّة في شيءٍ، وأنَّ نِسْبتها إلى العربيَّة غير دقيقة في مجال الدِّين والبحث العلميّ، وأنَّ ترجمة الكلمة اللَّاتينيَّة «Secularism» إلى العربيَّة بمعنى «العلم» أو «العالم» غير صحيحة وغير مُلائمة لمعنى «Secularism» على الإطلاق، وأنَّ التَّرجمة الصَّحيحة للكلمة، هي: «اللَّادينيَّة» أو «الدِّنيويَّة» أو «المادِّيَّة» التي تعني: فصل الدِّين عن الحياة، والحياة عن الدّين فصلًا جزئيًّا أو كلِّيًّا بحيث لا يكون للدِّين قُوَّة تأثيريّة في حياة الفرد والجماعة، فيبقى النَّاس على غير دينٍ بقاء الرُّوح بلا جَسدٍ أو الجَسد بلا روحٍ.

بعد هذا كُلّه يتعرَّض الباحث -هُنا- للكلام عن نَشْأة فكرة «العلمانيّة» وأهمّ الأسباب التي أدَّت إلى ظُهورها في تلك العُصور المُظلمة.

فقد نشأت العلمانيَّة في أُوروبا خِلال القرن التَّاسع عشر الميلاديّ، مع ميلاد الثَّورة الفرنسيَّة، ثمَّ تسرَّبت إلى مُعظم دول العالم وعمَّت البلاد في القرن العشرين بتأثير حَرَكة الاستعمار والتَّبشير، وصار لها وجود سياسيّ في كثير من الأقطار[1]، ولم يكن ظُهورها للعالم إلَّا لأسباب، منها:

1 - الطُّغيان الكنسيّ

من الأسباب التي أدَّت إلى ظُهور حركة العلمانيَّة في أُوروبا: الطُّغيان الكنسي الذي اتَّسم بالظُّلم، والقهر، والتَّعصُّب، واتِّباع الهوى، واحتكار الرّأي[2]، والعبث بتعاليم المسيح، تارة بالتَّحريف والتَّشويه، وتارة أُخرى بالتَّبديل والتَّغيير، حتَّى إنَّ رجال الدِّين والبابوات أدخلوا على النَّصرانيَّة ما ليس

(1) يُنظر: د. محمّد عزّ الدّين الغرياني، **مباحث عامَّة في الثَّقافة والفكر الإسلاميّ**، مرجع سابق، ص150.

(2) يُنظر: المرجع السَّابق، ص150.

منها من عقيدة التَّثليث، وتحليل الخبائث، وتحريم الطَّيِّبات، وحملوا أتباعهم ومُعتنقي النَّصرانيَّة على قَبول أفكارهم وآرائهم الجديدة طَوْعًا وكُرهًا، ولعنوا مُخالفيهم، بل سَفَكت الكنيسة «دماء من ظفرت به من الموحِّدين، وأذاقتهم صُنوف التَّعذيب، وألوان النِّكال، ونصَّبت نفسها عن طريق المجامع المُقدِّسة «إلهًا» يحلّ ويحرّم، ينسخ ويضيف، وليس لأحدٍ حقّ الاعتراض أو على الأقلّ حقّ إبداء الرّأي، كائنًا من كان، وإلَّا فالحِرمان مصيره واللَّعنة عُقوبته؛ لأنَّه كافر (مهرطق)»[1].

فقد «كان الخِتان واجبًا فأصبح حرامًا، والميتة مُحرَّمة فأصبحت مُباحة، وكانت التَّماثيل شركًا ووثنيَّةً فأصبحت تعبيرًا عن التَّقوى، وكان زواج رجال الدِّين حلالًا فأصبح محظورًا، وكان أخذ الأموال من الأتباع مُنكرًا فأصبحت الضَّرائب الكنسيَّة فرضًا لازمًا...»[2].

هكذا مارست الكنيسة الطُّغيان الدِّيني والإرهاب في أبشع صُورة منذ أنْ ظهر إلى الوجود ما يُسمَّى بالمسيحيَّة الرَّسميَّة في مَجْمَع نيقيَّة سنة: 325م[3]، بالإضافة إلى أنَّها سيطرت منذ بدايات العُصور الوسْطى المسيحيَّة على جميع جوانب الحياة السِّياسيَّة والثَّقافيَّة والاجتماعيَّة في أُوروبا بشكلٍ خاصٍّ، وفي جميع العالم المسيحيّ بوجه عامٍ. فكادت تكون صاحبة السُّلطان المُطلق على كلِّ شيء؛ إذ لها بكونها مؤسَّسة دينيَّة سُلطة مُطلقة على روح الفرد وعَقْله، كما لها بكونها سلطان اللَّه على الأرض: سُلطة على المُجتمع ومؤسَّساته السِّياسيَّة المُتمثّلة في الدَّولة والإمارات الإقطاعيَّة[4].

فمن ثمّ كان على اليهود الموجودين في أرجاء أُوروبا في تلك العُصور

(1) د. سفر بن عبد الرّحمن الحوالي، **العلمانيّة نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميّة المعاصرة**، دار الهجرة، دون ذكر تاريخ الطبع والإصدار، ص128.
(2) المرجع السَّابق، ص128.
(3) يُنظر: المرجع السَّابق، ص128.
(4) يُنظر: د. أحمد عبد الرحيم السايح، **مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية**، مرجع سابق، ص111.

المُظلمة اختراق المُجتمع النَّصراني؛ لأنَّ العَداء بين اليهوديَّة والنصرانيَّة قديم جدًّا، فاستغلَّ اليهود ثَغرة العداء بين عامَّة النَّاس والكنيسة، ودعوا من خِلالها إلى إبعاد الدِّين النصرانيّ عن ساحة الحُكم[1].

2 - الصِّراع بين الكنيسة والعلم

أمَّا الصِّراع بين الكنيسة والعلم فهو سبب آخر أدَّى إلى ظُهور فكرة العلمانيَّة في المُجتمع الأُوروبي؛ «حيث مارست الكنيسة الإرهاب ضدّ العُلماء، واعتبرت النَّظريَّات العِلْميَّة التي قال بها العُلماء هرطقة، وخُروجًا عن الدِّين، بسبب مُخالفتها للتَّوراة والإنجيل، أو لمُخالفتها لأفكار أرسطو وبطليموس القديمة التي تبنَّتها الكنيسة في وقت سابق، وتتصدَّى للدِّفاع عنها الآن»[2].

«ولم تبدأ النَّهضة الأوروبيَّة في الظُّهور حتى كانت آراء أرسطو في الفلسفة والطِّبّ، ونظريَّة العناصر الأربعة، ونظريَّة بطليموس في أنَّ الأرض مركز الكون، وما أضاف إلى ذلك القديس أغسطين، وكليمان الإسكندريّ، وتوما الإكويني أُصولًا من أُصول الدِّين المسيحيّ، وعقائد مُقدَّسة لا يصحّ أنْ يتطرَّق إليها الشَّكّ»[3]، وظلَّت الكنيسة مُصرَّة على هذا الرّأي حتى مَطْلع القرن التّاسع عشر...[4].

وتُعتبر نظريَّة دوران الأرض التي أثارها العالم الفلكيّ كوبرنيق سنة 1043م، من النَّظريَّات العِلْميَّة التي هزَّت الكنيسة لأوَّل مرَّة؛ إذ كانت فلسفة الكنيسة تعتنق نظريَّة بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون، وأنَّ الأجرام السَّماويَّة كافَّة تدور حولها[5].

---

(1) يُنظر: **علي بن نايف الشحود، موسوعة الرّدّ على المذاهب الفكرية المعاصرة 1-29، قسم الفرق والأديان**، ج31، ص451.

(2) د. محمّد عزّ الدّين الغرياني، **مباحث عامّة في الثّقافة والفكر الإسلاميّ**، مرجع سابق، ص150.

(3) د. سفر بن عبد الرّحمن الحوالي، **العلمانية نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميّة المعاصرة**، مرجع سابق، ص148.

(4) يُنظر: المرجع السَّابق، ص148.

(5) يُنظر: المرجع السَّابق، ص150.

فمن هُنا تمّ القبض على كوبرنيق من قبل مَحْكمة التَّفتيش ولم ينجُ من ذلك لأنَّه قسِّيسٌ، ولأنَّ المنيَّة أدركته بعد طبع كتابه: «حركات الأجرام السَّماويَّة» بقليل. ولكنّ الكنيسة منعت تداول كتابه، وقالت: إنَّ ما فيه هو وساوس شيطانيَّة ومُغايرة لروح الإنجيل[1].

وبعد بِضْع سنين من موته جاء «جاليليو» (Galelio) الذي اخترع المَرْقب «التلسكوب»[2] (Telescope)، فأيَّد تجريبيًّا ما اكتشفه أسلافه نظريًّا، فكان ذلك مُبرّرًا للقبض عليه ومُحاكمته، «وقَضَى عليه سبعة من الكرادلة بالسِّجن، وأُمر بتلاوة مزامير النَّدم السَّبعة كُلّ أُسبوعٍ، طَوال ثلاث سنوات»[3].

ثمّ تنازل عن رأيه لمّا خشي على حياته أنْ يُحكم عليه بالموت حرقًا حيًّا كما حكم على «برونو» الذي أُحرق حيًّا بِسَبَب إصراره على أنَّ الأرض ليست مركز الكَوْن[4]، فأعلن ارتداده أمام رئيس المَحْكمة بقوله: ««أنا جاليليو» وقد بلغت السَّبعين من عُمري سجين راكع أمام فخامتك، والكتاب المُقدَّس أمامي ألمسه بيدي أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحاديّ الخاطئ بدوران الأرض»[5].

وقد جاء في بعض الإحصائيَّات أنَّ محاكم التَّفتيش أصدرت الحُكم على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصًا خِلال ثماني عَشَرة سنة بداية من سنة: 1481م إلى سنة: 1499م، بأنْ يحرقوا وهُم أحياءً، وقد نفِّذت فيهم. وعلى ستَّة آلاف وثماني مئة وستِّين بالتَّشهير والشَّنق، وعلى سبعة وتسعين ألفًا وثلاثة وعشرين شخصًا بعُقوبات مُختلفة، وجميعها نفِّذت فيهم، وحَكَمَت بِحَرْق جميع نُسخ التَّوراة المكتوبة بالعبريَّة[6].

---

(1) يُنظر: المرجع السَّابق، ص150.

(2) وهي آلة تُدني البعيد وتُظهر أدقّ تفاصيله.

(3) **معالم تاريخ الإنسانية**، نقلًا عن المرجع السَّابق، ص150-151.

(4) يُنظر: د. محمد عز الدين الغرياني، **مباحث عامة في الثقافة والفكر الإسلامي**، مرجع سابق، ص150.

(5) نقلاً عن د. سفر عبد الرحمن الحوالي، **العلمانيّة نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميّة المعاصرة**، مرجع سابق، ص151.

(6) انظر: د. السَّايح علي حسين، **العقيدة بين الوحي والفلسفة والعلم**، منشورات كلّيّة الدّعوة =

وفي إحصاءٍ آخر أنّ هذه المحاكم حكمت على ثلاث مئة وأربعين ألف نَسْمة، من يوم تأسيسها سنة: 1481 إلى: 1808م. منهم نحو مئتي ألفٍ أُحرقوا بالنّار أحياءً[1].

وقد لاقى بعض العُلماء «مصاعب جمَّة من السُّلطات الدِّينيَّة في العالم المسيحيّ مُحافظة على مصالح شخصيَّة دون الاعتماد على أيّ نُصوصٍ حقيقيَّةٍ للكُتب المُقدَّسة (التَّوراة والإنجيل) تُعارض تطوُّر العُلوم... فقد دفعت ببعض العُلماء إلى المنافي هربًا من الموت حَرْقًا، أو اضطرارهم إلى طلب المَغْفرة بتعديل مواقفهم والتّنازل عن نشاطهم العِلْميّ»[2].

وهذه القَمْعيَّة الشَّرسة التي قام بها رجال الكنيسة ضدّ العِلْم والعُلماء في تلك العُصور جعلت العُلماء يأخذون بثأرهم من مُتحكِّمي الأمس بعد عَصْر النَّهضة، واستمرّ هذا الثَّأر حتّى اليوم لدرجة أنَّ التَّحدُّث عن اللَّه أو ما له صِلَة بالدِّين أمام بعض المُنْبهرين بالعِلْم يُعتبر حديثًا يُثير الاستغراب والدَّهشة، وأصبح المفهوم السَّائد أنَّ التَّقدُّم والتَّحرُّر العقليّ مُلازمان للتَّمرُّد والإلحاد[3].

3 - الثّورة الفرنسيّة

لقد صادف ظُهور العلمانيَّة قيام الثَّورة الفرنسيَّة، عندما «كان الغرب المسيحيّ يرزح تحت ظُلم نظام الإقطاع البغيض، بِكُلّ ما فيه من ظُلم وقهر واغتصاب للحُقوق»[4].

«وكان إنقاذ الشَّعب يتطلَّب منه أنْ يقوم بعملٍ يودي بالظُّلم ويزيح كابوسه عن المهضومين، ووقف الشَّعب بكلِّ فئاته (الفلَّاحين، المهنيِّين،

= الإسلاميَّة، طرابلس-ليبيا، ط1، 1373 من وفاة الرّسول صلَّى اللَّه عليه وسلَّم/ 2005م، ص155.

(1) يُنظر: المرجع السَّابق، ص155.

(2) المرجع السَّابق، ص157.

(3) يُنظر: المرجع السَّابق، ص164.

(4) الغرياني، **مباحث عامّة في الثّقافة والفكر الإسلاميّ**، مرجع سابق، ص150.

القساوسة الصِّغار) جَبْهة واحدة، وكانت الجَبْهة الأُخرى ائتلافًا بين الطَّبقتين المُحتكرتين (رجال الدِّين والأشراف). وقضت سُنَّة اللَّه أنْ ينتصر الشَّعب على جلَّاديه، وأنْ تَحْصد المِقْصلة مُعظم الرُّؤوس المُترفة الطَّاغية»[1].

فوجدت لأوَّل مرَّة في تاريخ أُوروبا المسيحيَّة دولة جُمهوريَّة لادينيَّة، تقوم فلسفتها على الحُكم باسم الشَّعب، وليس باسم اللَّه، وعلى الحُريَّة الشَّخصيَّة، بدلًا من التَّقيُّد بالأخلاق الدِّينيَّة، وعلى دستورٍ وضعيٍّ بدلًا من قرارات الكنيسة[2].

وهكذا حدثت هذه الثَّورة الكُبرى في حياة الإنسان الأُوروبي سنة: 1789م، واستهدفت أوَّل ما استهدفت الكنيسة من أجل التَّحرُّر من ربقتها وطُغيانها المرير.

المبحث الثَّالث:
ظهور العلمانيّة في المُجتمع الإسلاميّ

فإذا كانت ظاهرة العلمانيّة تهدف إلى قطع الوشائج بين الدِّين والحياة، وتعمل بالجَدِّيَّة على مَنْع الدِّين من التَّدخُّل في شؤون الحياة كُلّها؛ -كما شرحنا- فإنَّ الدُّول الإسلاميَّة -برُمَّتها- لم تنجُ من خطرها وتأثيرها وسيطرتها، بل ذاقت وبال أمرها جميع الدُّول الإسلاميَّة، ولم تسلم دولة إلَّا وتسرَّبت إليها، وسَرَت فيها كما تسري الدِّماء في العُروق.

وقد نبتت شَجَرة العِلْمانيَّة في بلاد المُسلمين في مطلع القرن التَّاسع عشر الميلاديّ، عندما بدأ الاحتلال الغربي يفرض إرادته على العالم الإسلاميّ عن طريق القُوَّة والغزو الفكري والثَّقافيّ بإقصاء المِنْهاج الإسلاميّ من الشَّريعة والاقتصاد والتَّعليم، وإحلال منهاج علمانيّ بديلًا عنه. وقد بدا هذا واضحًا

(1) الحوالي، **العلمانيّة نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميّة المعاصرة**، مرجع سابق، ص168-169.

(2) يُنظر: المرجع السّابق، ص169.

في مُحاولات فرض القانون الوضعيّ بديلًا عن الشَّريعة الإسلاميَّة، وإلغاء المحاكم الشَّرعيَّة من بعض الدُّول المُسلمة، وإقامة المحاكم الغربيَّة مقامها، كما حَدَث في المغرب العربيّ، ومصر والسُّودان، وسوريا وغيرها[1].

وظهرت هذه المؤامرات في العالم الإسلاميّ بشنّ حملات الاستعمار على بلاد المسلمين، وإنشاء الإرساليَّات التَّنصيريَّة، والسَّيطرة على مناهج المدارس الوطنيَّة، وتغيير مناهجها من دراسة القرآن الكريم، وعُلوم العقيدة إلى دراسة اللُّغات الأجنبيَّة، بطريقة تُحبِّب العربيّ والمُسلم فيها، وتنفِّره من اللُّغة العربيَّة وعُلوم الشَّريعة الإسلاميَّة[2].

وتُعدّ تركيا أُولى الدول الإسلاميَّة التي أعلنت العلمانيَّة في سياستها، وتبنَّت فكرة فصل الدِّين عن الدولة، وذلك عندما تولَّى مصطفى كمال أتاتورك السُّلطة فيها بعد الحرب العالميَّة الأُولى[3].

وكان الغرض من إعلان تركيا للعلمانيَّة: هو عزلها عن التُّراث الإسلامي، لتكون أجيالها القادمة بعيدة الصِّلة عن الإسلام والعرب، وتُصبح قريبة الصِّلة من الغرب في مُيوله واتِّجاهاته[4].

وقد وصف المؤرِّخ «آرمسترونج» هذه المكيدة التي قادها مصطفى كمال أتاتورك ضدّ تركيا المسلمة بقوله: «انطلق كمال أتاتورك يكمل عمل التَّحطيم الشَّامل الذي شرع فيه، وقد قرَّر أنَّه يجب عليه أنْ يفصل تركيا عن ماضيها المُتعفِّن الفاسد، يجب عليه أنْ يزيل جميع الأنقاض التي تُحيط بها، هو حطّم فعلاً النَّسيج السِّياسيّ القديم، ونقل السَّلطنة إلى ديمقراطيّة، وحوَّل إمبراطوريَّة إلى قطر... وجعل الدَّولة الدِّينيَّة جُمهوريَّة عاديَّة، إنَّه طرد السُّلطان (الخليفة)، وقطع جميع الصِّلات عن الإمبراطوريَّة العثمانيَّة، وقد بدأ الآن في

(1) يُنظر: السايح، **مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية**، مرجع سابق، ص114 وما بعدها.
(2) يُنظر: السايح، **مواجهة الغزو الفكري ضرورة إسلامية**، المرجع السّابق، ص115.
(3) يُنظر: المرجع السابق، ص115.
(4) يُنظر: المرجع السابق، ص115.

تغيير عقليَّة الشَّعب بكاملها وتصوُّراته القديمة وعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزليَّة التي تربط بالماضي»[1].

ونتيجة لهذه المُخطَّطات والمُدبّرات الغربيَّة الأُوروبيَّة التي كان يستشعرها الكماليُّون في تركيا المسلمة ألغت تركيا المُتعلْمنة بالعُنف والإرهاب: الكتابة التُّركيَّة بالأحرف العربيَّة، وحرَّمت الأذان بالعربيَّة، وكتبت المصحف أو ترجمته بلُغتها الهجينة، وحدَّدت عدد المساجد، وأقفلت كثيرًا منها، أو حوَّلتها إلى ما لا يتَّفق وقداسته، وألغت الأعياد الإسلاميَّة، وحطَّمت مظاهر الحِشْمة والحياء الإسلاميَّين، فأكرهت النِّساء على تقليد المرأة الغربيَّة في كلِّ شيءٍ، وحاربت بشدَّة صارمة كُلّ من اعترض طريقها من المتورِّعين، وحتى المُعتدلين شيئًا ما من الكماليّين[2].

وإذا تركنا تركيا إلى مصر العربيَّة فسنجد أنَّها هي الأُخرى من الدُّول الإسلاميَّة التي تأثَّرت بالعِلْمانيَّة في سياستها ودستورها ومنهج حياتها. وقد دخلت فكرة العِلْمانيَّة في مصر مع حملة «نابليون بونابرت»، وأشار إليها الجبرتيّ في الجُزء المُخصَّص للحَمْلة الفرنسيَّة على مصر وأحداثها، بعبارات تدور حول مَعْنى العلمانيَّة، وإنْ لم تذكر اللَّفظة صراحة[3].

أمَّا أوَّل من استخدم هذا المُصطلح «العلمانيَّة» فهو نصراني يُدعى إلياس بقطر في معجم عربي فرنسي من تأليفه سنة: 1827م[4]، وأدخل إسماعيل الخديوي القانون الفرنسي في مصر سنة: 1883م، وكان هذا الخديوي مفتونًا بالغرب، وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أُوروبا[5].

---

(1) المُخطَّطات الاستعماريّة لمُكافحة الإسلام، نقلاً عن الحوالي: **العلمانيّة نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلاميّة المعاصرة**، مرجع سابق، ص570.

(2) يُنظر: الحوالي: المرجع السّابق، ص572 وما بعدها.

(3) يُنظر: **النّدوة العالميّة للشباب الإسلاميّ: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، بإشراف د. مانع بن حماد الجهنيّ، دار الندوة العالمية، دون تاريخ، ج131، ص3.

(4) يُنظر: **النّدوة العالميّة للشباب الإسلاميّ**، المرجع السَّابق، ج131، ص3.

(5) يُنظر: الحوالي، المرجع السَّابق، ص574 وما بعدها.

أمَّا الهِند فكانت الأحكام فيها وَفْق الشَّريعة الإسلاميَّة حتَّى سنة: 1791م، ثمَّ بدأ إلغاء الشّريعة الإسلاميَّة من هذا التَّاريخ تدريجيّاً بتدبير الإنجليز، وانتهت تمامًا في أواسط القرن التَّاسع عشر الميلاديّ[1].

وأُلغيت الشريعة الإسلاميَّة في الجزائر عَقب الاحتلال الفرنسي سنة: 1830م[2]. وأُدخل القانون الفرنسي في تونس سنة: 1906م. وفي المغرب سنة: 1913م. كما أُلغيت الشريعة الإسلاميَّة في العراق والشام أيَّام أُلغيت فيها الخلافة العثمانيَّة، وتمَّ تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين في تلك البلاد[3].

ثمَّ وصلت الجزيرة العربيَّة التي هي مَهْد الإسلام، ومَهْبط الوحي، ودخلت الكويت أوَّل ما دخلت مع ابتعاث الطَّلبة في الخمسينيات الميلاديَّة للدِّراسة في الخارج، فرجع بعضهم مُشبَّعًا بالأفكار العلمانيَّة، فتبنَّتها شخصيَّات بارزة، وأحزاب وصُحف ومؤسسات كثيرة[4].

هكذا برزت ظاهرة العلمانيَّة وأخذت في الذُّيوع والانتشار بالتَّدريج في جميع بلاد المسلمين بلا استثناء. وإنْ كانت قُوَّة تأثيرها ونُفوذها في هذه البلاد تتفاوت من بلدٍ إلى آخر.

المبحث الرّابع:
أسباب ظُهور العلمانيّة في المُجتمع الإسلاميّ

أدَّت إلى ظُهور حركة العلمانيَّة في بلاد المسلمين أسباب عدَّة، قد لا يسمح لنا المقام باستعراضها كُلّها، ولكن مَهْما ضاق بنا المَقَام فسنعرض أهمَّها في النِّقاط الآتية:

(1) يُنظر: الحوالي، المرجع السَّابق، ص539 وما بعدها.
(2) يُنظر: الحوالي، المرجع السَّابق، ص539 وما بعدها.
(3) يُنظر: الحوالي، المرجع السَّابق، ص539 وما بعدها.
(4) يُنظر: عبد المجيد أبو مريقة، بحث بعنوان: البيان لخطر العلمانيّة على الدِّين والأخلاق وشريعة القرآن، مرجع سابق، ص5.

1 - انحراف الأمَّة عن المنهج الصَّحيح

من أوَّل الأسباب التي فتحت النَّافذة لحركة العلمانيَّة في بلاد المسلمين انحراف المسلمين في شتَّى المجالات؛ حيث «أصابهم انحراف في العقيدة، وانحرافٌ في السُّلوك، وانحرافٌ في المنهج... ويبرز هذا الانحراف في انسحاب جلّهم عن تطبيق جوانب كثيرة من الأحكام الإسلاميَّة، وتَقَهْقرهم عن التَّمسُّك بمنهج الكتاب والسُّنَّة في جميع نواحي الحياة»[1]، فنتج عن ذلك نتائج سيِّئة منها:

أ - جهلهم بحقيقة الإسلام وتهوينهم لمُقدَّساته.

ب - ضعف إيمانهم وفساد اعتقادهم بلا شعورٍ.

ج - ضعف تفكيرهم وقلَّة إنتاجهم وعدم مواكبتهم للعصر ومجرياته، في عصرٍ قد نفضت فيه أُوروبا غُبار الماضي، وحثَّت الخطى على طريق العلم والاكتشاف.

د - اختلافهم في أُمور تافهة، وتمزّقهم إلى شيع وشراذم وأحزاب.

وهذه كُلّها من نتائج انحراف المسلمين في عصرنا الحاضر. وقد فتح هذا الانحراف أبوابًا ومنافذ خطيرة تواردت عَبْرها الأفكار الأجنبيَّة المُنحرفة، والاعتقادات الغربيَّة الفاسدة، التي أفسدت للمسلمين عقائدهم، وكدَّرت صفاء أخلاقهم، كما عكَّرت جوّ بلادهم.

2 - الاستعمار والمُستعمرون

دخلت حركة العلمانيَّة بلاد المسلمين مع حركة الاستعمار التي شنّ الغرب الحقود حملاتها الشَّرسة على بلاد الشَّرق إثر سقوط الدَّولة الإسلاميَّة، فأغاروا عليها، ودخلوها بالقوَّة والعنف والإرهاب، وأخذوا ثرواتها، وسيطروا على تُراثها، واستعبدوا أهاليها، وأبادوا أراضيها، باسم الاستعمار

(1) داود عبد الكريم زكريا، **منهج التّدرّج في التّشريع الإسلاميّ ـ مفهومه ومقاصده وتطبيقاته المعاصرة**، رسالة ماجستير بكليّة الدّعوة الإسلاميّة، طرابلس-ليبيا، 2013م، ص269.

المزيَّف، والتَّحرير الخبيث. وكانت هذه الحركة الاستعماريَّة المُدمِّرة خير عون لتثبيت فكرة العلمانيَّة في بلاد الإسلام، وتركيبها في أفكار أبناء الأُمَّة المسلمة.

وقد كان المُجتمع الأُوروبي في قِمَّة مَجْده يوم أن تحرّك لاستعمار المُجتمعات الإسلاميَّة، بما أنجزه من الفصل بين الدِّين والدولة، واستقلاله بالسُّلطة الزمنيَّة، وبالحُريَّة الفرديَّة: في التفكير والتوجيه، وبالحُريَّة السياسيَّة، كما كان في أشد الأوضاع حِرصًا على اتِّجاه العلمانيَّة مثالًا للإنسانيَّة.

وعندما حاول الاستعمار استصحاب اتِّجاه العلمانيَّة معه وتطبيقه في المُجتمع الإسلامي اضطرّ قُوَّاده إلى سُلوك طريق يُمكّنهم من هذا التطبيق، فاختاروا عزل المُجتمع الإسلامي كُليًّا عن ماضيه وعن تُراثه العقلي والروحي والتوجيهي والسُّلوكي؛ لأنَّ المُستعمرين لمّا دخلوا المُجتمع الإسلامي أدركوا أنَّه مُجتمع مُغاير تمام المُغايرة للمُجتمع الأُوروبي في خصائصه وتاريخه وواقعه، وكان من الصَّعب تطبيق هذا الاتِّجاه العلمانيّ في مثل هذا المُجتمع الرَّبَّانيّ. فإذا ما تمّ عزله أصبحت قيادته مُيسَّرة وطيِّعة للمُستعمر، وبالأخص الأجيال التي تنشأ في ظلّ هذه العزلة[1].

«ولم يفلت أيّ بلدٍ إسلاميٍّ أو أكثريَّةٍ إسلاميَّةٍ في آسيا وإفريقيا من الاستعمار الغربيّ»[2].

وكان من مُمارسة الاستعمار للعلمانيَّة في بلاد المسلمين إبعاد الإسلام عن:

أ - سياسة الحُكم، فنظام الحُكم اليوم في سيره، إمَّا علمانيّ غربيّ؛ أي: رأسماليّ، وإمّا علمانيّ شرقيّ؛ أي: بلشفيّ ماركسيّ.

ب - سياسة التَّوجيه والتَّعليم، وقد يُشار إلى الإسلام في بعض مناهج التَّعليم في المراحل الإعداديَّة والثَّانويَّة، ويغفل عنه تمامًا في التَّعليم العالي

(1) يُنظر: السَّايح، **مواجهة العلمانيّة ضرورة إسلاميَّة**، مرجع سابق، ص24.
(2) السايح: المرجع السّابق، ص120.

والجامعات والكُليَّات والمعاهد، إلَّا في بعض الدُّول التي لم تزل تحتفظ نوعًا ما بأصالتها العربيَّة والإسلاميَّة، كالأزهر الشَّريف، وقطر، والمَمْلكة العربيَّة السّعوديَّة، وتونس، وليبيا، والمغرب، والسّودان، وغيرها.

ج - سياسة التَّشريع والقضاء، وما لم يلغه الاستعمار من مبادئ الإسلام أو مظاهره ألغاه الحُكم الوطنيّ بعد الاستقلال.

د - شؤون الدَّعوة الإسلاميَّة؛ حيث أُلغيت الأوقاف الإسلاميَّة، وبقيت أسماء وزاراتٍ للأوقاف؛ لتخفي ما أُلغيَ من تلك الأوقاف.

هـ - سياسة المال والاقتصاد: لا يعنى فيها إنْ كانت مُلائمة أو غير مُلائمة للمبادئ الإسلاميَّة والاتِّجاه الإسلاميّ من حياة الإنسان[1].

3 - الاستشراق والمُستشرقون

أدَّى الاستشراق أدوارًا كبيرةً في بثّ الأفكار العلمانيَّة في البلاد الإسلاميَّة، باعتباره مؤسَّسة غربيَّة توجَّهت نحو الشَّرق لطلب عُلومه، وتاريخه، وآدابه، وثقافته، ومعرفة سرّ تَقدُّمه، وما يتعلَّق به، ماديًّا ومعنويًّا، حركةً وسكونًا. فقد استفاد الغرب من الشَّرق الإسلاميّ من هذا الجانب أيَّام كان المسلمون في قِمَّة عالية من المجد، وبلغوا عَنان السماء في الرُّقي والتَّقدُّم الإنسانيّ والحضاريّ والفكريّ.

ولمَّا كان روَّاد الاستشراق أساتذة مُفكّرين، وعُلماء خُبراء، لهم اتّصالٌ وثيقٌ بالعالم الإسلاميّ، وليس بخافٍ عليهم مِثقال ذرَّة عن الإسلام والمسلمين كانوا بسبب ذلك وسيلة الغرب في نَشْر العلمانيَّة في أوساط المسلمين؛ لأنَّهم يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم.

وقد قدَّم المُستشرقون خدماتٍ فعَّالةً، وجهودًا جبَّارةً لترسيخ أقدام العلمانيَّة في الأقطار الإسلاميَّة، من ذلك:

(1) يُنظر: السَّايح، المرجع السَّابق، ص120.

أ - قيامهم بالتَّدريس في بعض الدُّول الإسلاميَّة على مُستوى الجامعات والكُليَّات والمَعَاهد.

ب - قيامهم بجمع المخطوطات العربيَّة وفهرستها.

ج - قيامهم بتحقيق المخطوطات ونَشْر الكتب العربيَّة وترجمتها إلى اللُّغات الأجنبيَّة.

د - قيامهم بالتَّأليف في شتَّى مجالات الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة، إلى جانب اشتراكهم في بعض المجامع اللُّغويَّة والمجامع العِلْميَّة في العالم الإسلاميّ.

وكان التَّأليف أخطر وسائل المُستشرقين في تقديم الدّعم المادّيّ للعِلْمانيَّة، وتحقيق أطماعها وأغراضها الهمجيَّة في بلاد المسلمين؛ حيث تتَّصف تأليفاتهم وكتاباتهم حَوْل الإسلام ومُقدَّساته بالطَّعن والتَّشويه، وتزييف المفاهيم والحقائق عند تعاملهم مع الشَّرق الإسلاميّ[1].

4 - التّنصير والمُنصّرون

لم تكن جُهود المُنصّرين بمنفصلة عن جُهود المُستشرقين في دفع عجلة العِلْمانيَّة إلى الأمام، ونشر الثقافة الغربيَّة المادِّيَّة في بلاد المسلمين؛ إذ كانت لهم أهداف مُشتركة، وأغراض موحَّدة في مُحاربة الدِّين الإسلاميّ، وتدمير حياة الأُمَّة الإسلاميَّة عَبْر العُصور والقُرون. وإنْ كانت جُهود المُستشرقين تركِّز على الجوانب الثَّقافيَّة والفكريَّة، بينما تركّز جُهود المُنصّرين في الجوانب الاجتماعيَّة والتّربويَّة[2].

ومن الجُهود التي قام بها المُنصّرون في هذا المجال:

أ - استخدام الطِّبّ كأغلى وسائل التَّنصير في بلاد المسلمين.

(1) يُنظر: بندر بن محمد الرباح، بحث بعُنوان: العلمانية: أسباب ظهورها ـ عوامل انتقالها إلى العالم الإسلاميّ ـ أبرز دعاتها، ص20 وما بعدها، دون تاريخ.

(2) يُنظر: بندر بن محمد الرّباح، المرجع السَّابق، ص22.

ب - القيام بالأعمال الخيريَّة والخدمات الاجتماعيَّة، كإنشاء ملاجئ للأيتام، وبناء مراكز رعاية اجتماعيَّة للفُقراء والمُحتاجين[1].

ج - تأسيس المدارس المسيحيَّة، ووضع المناهج التَّعليميَّة وفقًا للمناهج العلمانيَّة الغربيَّة.

د - غرس أفكار العِلْمانيَّة في عُقول أبناء المسلمين عَبْر مُمارسة أعمالهم التَّعليميَّة.

هـ - بث الأفكار العلمانيَّة عَبْر استخدامهم الوسائل الإعلاميَّة؛ كالتلفاز والمِذياع وغير ذلك.

و - نَشْر الأناجيل والمَطْويَّات التي تحمل الأفكار المسيحيَّة التي تخدم العلمانيَّة على الإطلاق.

5 - الاستغراب والمُستغربون

من العوامل التي أدَّت إلى تسرُّب العلمانيّة إلى العالم الإسلاميّ حركة الاستغراب التي تعني: مؤسَّسة شرقيَّة توجَّهت نحو الغرب؛ لدراسته، أو التَّخصُّص في شيءٍ من لُغاته وعُلومه ومعارفه[2]، وعاداته وتقاليده وثقافاته. وهي بهذا المعنى تحمل معنًى مُقابلًا لحركة الاستشراق كما تقدّم.

ويُعتبر الاستغراب أثرًا من الآثار الاستشراقيَّة من جانبٍ، ومن الآثار العلمانيَّة من جانبٍ آخر؛ حيث سَرَى في نفوس المُسلمين ـ اليوم ـ مركَّب النَّقص الذي سوَّل لهم تفوُّق الغرب، وعلوّ مكانتهم، فأصبحوا يُقلِّدونهم في مظاهر العيش والسُّلوك، وفي هوامش الحياة وتوافهها، كاللِّباس والأكل والشُّرب والعادات والتّقاليد الغربيَّة. كُلّ ذلك سرى إلى سلوكنا اليومي ليُحوِّلنا ـ شئنا أم أبينا ـ إلى الانخراط في تقليدٍ أَعْمى لكُلّ ما هو غربيّ، ممَّا لا قيمة

(1) يُنظر: بندر بن محمد الرباح، المرجع السابق، ص22.

(2) يُنظر: د. محمد فتح الله الزّيادي، **الاستشراق: أهدافه ووسائله**، ص20، منشورات كُلِّيَّة الدعوة الإسلاميَّة، ط2، 1370 من وفاة الرسول ﷺ، 2002م.

له في حياتنا، وليبعدنا بعد ذلك عن التفكير في كلّ ما يوجّهنا نحو الإبداع والخلق والابتكار، كما فعلوا عند تعاملهم مع ثقافتنا وتراثنا[1].

وقد ساعدت على انتشار العلمانيَّة في المُجتمعات المسلمة حركة الاستغراب التي تزعَّمها المُثقَّفون المُتفرنجون، الذين تربّوا تربية أُوروبيَّة، وتثقَّفوا بالثَّقافة الغربيَّة في معاهد العلم الإنجليزيّ والفرنسيّ، وكان من الطَّبيعيّ أنْ يرجع هؤلاء الشَّباب بعد تعلُّمهم في فرنسا وإنجلترا، بآراء علمانيَّة غربيَّة، ويتجهوا بأنظارهم إلى هذه الدُّول الأُوروبيَّة مثلًا أعلى؛ لتقليدها[2]، ومُحاكاتها في جميع مساعيهم كما نراه ـ اليوم ـ عند كثيرٍ من أبناء المسلمين.

المبحث الخامس:
أهداف العلمانيَّة في المُجتمع الإسلاميّ

إنَّ التَّيار العلمانيّ في المُجتمع الإسلاميّ يستهدف ـ بلا شكٍّ ـ تحقيق مجموعة من الأهداف يُمكن إجمالها فيما يلي:

1 - **فصل الدِّين عن الحياة واستئصال شأفته من نُفوس المسلمين**. ولذا كانوا يُحاربون الإسلام بكلّ الوسائل المُمْكنة، من ذلك[3]:

أ - الطَّعن في حقيقة الإسلام والقدح في مُقدَّساته المُتمثِّلة في القرآن والنُّبوَّة.

ب - تشويه صُورة المسلمين، وإطلاق ألقاب وأوصاف بغيضة عليهم.

ج - الحُكم على الإسلام من خِلال تصرُّفات المسلمين وسُلوكهم، جهلًا منهم أنَّ الإسلام شيء، وأغلب المسلمين شيء آخر، وإنْ كانوا مُنتمين إليه.

د - القول بأنَّ الإسلام قد استنفد أغراضه، وأنَّه عِبارة عن طُقوس وشعائر روحيَّة.

---

(1) يُنظر: د. محمد فتح الله الزّيادي، المرجع السّابق، ص21.
(2) يُنظر: السايح، **مواجهة الغزو الفكريّ ضرورة إسلاميّة**، مرجع سابق، ص116.
(3) يُنظر: السَّايح، المرجع السَّابق، ص119.

هـ - الزَّعم بأنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة لا تواكب العصر، ولا تتلاءم مع الحضارة.

و - تهوين شأن الحضارة الإسلاميَّة وتاريخها.

ز - منع بناء المساجد في بعض المُجتمعات الغربيَّة، ومنع النَّاس من مُمارسة الإسلام فيها بحريَّة.

2 - **تخريب الإنسانيَّة**؛ لأنَّ فصل الدِّين عن الحياة أو عن الدَّولة كما يقولون، سبب لتخريب الإنسانيَّة؛ إذ لا تستقيم حياة الإنسان من غير الدِّين، لما بين الدِّين والحياة من العَلاقة المُترابطة المتينة؛ بحيث لا تنفكّ إحداهما عن الأُخرى، فهما تمامًا مثل الرّوح والجسد. فإذا كانت الرّوح مُنعزلة عن الجَسَد فإنَّ الجَسَد يتخرَّب وينهار. وكذلك الدِّين إذا انفصل عن الحياة، فإنّ الإنسان يبقى اسمًا بلا مسمًّى، وهو في طريقه إلى الخَراب والفناء.

3 - **السَّيطرة على العالم الإسلاميّ وامتصاص ثرواته**. وقد سلك الغرب العلمانيّ لتحقيق هذا الهدف طريقتين:

أ - **الاستعمار**؛ حيث استعمروا جلّ بلاد المسلمين، في آسيا وإفريقيا. ولم تسلم منهم دولة من الدُّول الإسلاميَّة إلَّا النَّزر اليسير منها.

ب - **الغزو الفكريّ**، وهو أخطر تدميرًا وتخريبًا للإنسانيَّة من الحرب المُسلَّحة.

المبحث السّادس:
آثار العلمانيَّة في المُجتمع الإسلاميّ

لمَّا كانت ظاهرة العلمانيَّة شجرة خبيثة نبتت في أرضها الخبيثة، قبل أن تتفرَّع فيما بعد إلى أراضي المسلمين، وعمَّت بها البلوى في بلادها. فقد خَلَّفت بذلك آثارًا سيِّئة في تلك البلاد لمَّا دخلتها وانتشرت فيها عَبْر قنواتها ومؤسَّساتها المُتعدِّدة التي تتمثَّل في المؤسّسة الاستعماريَّة والاستشراقيَّة والتَّنصيريَّة والاستغرابيَّة؛ نتيجة انحراف الأُمَّة المسلمة عن جادّة الحقّ التي رسمها اللَّه لها، وسار على دربها الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم وصحابته الكرام رضوان اللَّه عليهم منذ أربعة عشر قرنًا.

ومن أسوإ الآثار العلمانيَّة وأخبث مُخلَّفاتها في المجتمعات الإسلاميَّة المُعاصرة:

1 - التَّحاكم إلى غير ما أنزل اللَّه من القوانين الوضعيّة بإلغاء الشَّريعة الإسلاميَّة أو إقصائها عن كافَّة مجالات الحياة، واعتبار الدَّعوة إلى تطبيق شرع اللَّه تخلُّفًا ورجعيَّة كما هو واقع جلّ الدُّول الإسلاميَّة في حياتنا المعيشة.

2 - إقصاء اللُّغة العربيَّة عن الواقع التَّعليميّ في المدارس والمعاهد والكُلِّيَّات والجامعات، وإحلال اللُّغة الإنجليزيَّة أو الفرنسيَّة محلّها في كثيرٍ من الدَّول التي يُمثِّل المسلمون فيها الأغلبيَّة السَّاحقة. ولم يتوقَّف الأمر عند هذا الحدّ فحَسَب، بل إنَّ دارسي اللُّغة العربيَّة والدِّراسات الإسلاميَّة لا يساوون شيئًا في تلك الدُّول، ولا تقيم لهم حكوماتهم وزنًا، ولهذا كانوا في أغلب الأحايين يعيشون على هامش الحياة.

3 - انتشار الإباحيَّة والفَوْضى الأخلاقيَّة في كثير من بلاد المسلمين، بسبب تبرُّج النّساء تبرُّج الجاهليَّة الأُولى، ونبذهنَّ الحجاب والنقاب وراء ظهورهنّ، والاختلاط بين الرِّجال والنِّساء بلا حُدود في الشَّوارع والطُّرقات والمدارس والكُلِّيَّات والجامعات وغير ذلك من الأماكن العامَّة.

وقد نتج عن هذه الإباحيّة والفوضى الأخلاقيَّة التي يشيعها دعاة العلمانيَّة في تلك البلاد: انتشار الأمراض المُعدية، والأوبئة المدمِّرة، التي تنتجها مُمَارسة الاتِّصالات الجنسيَّة اللَّامشروعة، كما نَتَجت عنها كثافة عدد أولاد الزِّنا في بيوت المسلمين.

4 - انتشار المُعاملات والبيوع المُحرَّمة التي لا عهد لنا بها من قبل في بلاد المسلمين، مثل التَّعامل بالأموال الرَّبويَّة في البنوك والأسواق التِّجاريَّة، والرّشوة، سواء كان ذلك بين الفرد والفرد، أو بين الفرد والجماعة، أو بين الجماعة والجماعة سَواء بِسَواء.

5 - سُوء توزيع الثَّروات بين المواطنين، لسبب تغلُّب أُناس قليلين -ممَّن

يحملون فكرة العلمانيَّة أو يتثقَّفون بثقافة الغرب- على أموال الدَّولة، وترك جلّ المواطنين الضُّعفاء في الجُوع والعطش والفَقْر المُدقع.

6 - إحياء التُّراث الغربيّ العلمانيّ، وإماتة التُّراث العربيّ الإسلاميّ، ويبرز ذلك في أنَّ أغلب أبناء المسلمين -اليوم- يهتمُّون بدراسة العُلوم الغربيَّة اهتمامًا بالغًا، بينما صاروا لا يكترثون أدنى اكتراثٍ بدراسة العُلوم الإسلاميَّة التي فيها صلاحهم الدّنيويّ والأُخرويّ.

7 - التَّقليد الأَعْمى للغرب في كافَّة مجالات الحياة بلا استثناء: في الأكل والشّرب والنَّوم واللِّباس والمشي والزَّواج إلى آخر ما هنالك.

8 - مُشاركة المسلمين للكفَّار في حَفلاتهم ومُناسباتهم وأعيادهم المُخترعة التي لم ينزل اللَّه بها من سلطان. من ذلك: مُشاركتهم في الاحتفال بعيد ميلاد المسيح، وعيد الحُبّ، وعيد الأمّ، وعيد الأطفال، وغير ذلك من المُناسبات والأعياد.

9 - تفرُّق المسلمين إلى شرذمات كثيرة -تفرُّق اليهود والنَّصارى- تنظر كُلّ شرذمة منها إلى الأُخرى نظرة عداء دونيَّة، وتنكر بعضها بعضًا في أُمورٍ تافهةٍ.

10 -بثّ الأفلام الهدّامة التي تتعارض مع قيم الإسلام ومقدّساته ومبادئه في التّلفزيون والإذاعات والقنوات الدّاخليّة والخارجيّة.

المبحث السَّابع:
موقف الإسلام من العلمانيَّة

كانت العلمانيَّة من الأفكار الهدَّامة التي لا يرحِّب بها الإسلام، ولا يعبأ بشأنها أبدًا؛ لأنَّها مُغايرة تمام المُغايرة للقِيَم والمبادئ الأخلاقيَّة النَّبيلة التي جاء بها الإسلام ودعا المسلمين إلى التَّمسُّك والالتزام بها؛ لتصلح بها أحوالهم وتستقيم بها حياتهم، ثمّ ليسعدوا بها في أُخراهم.

فإذا كان للعلمانيَّة مبرَّراتها في المُجتمعات الغربيَّة، نظرًا لطبيعة بيئاتها، وظُروف مواطنيها المادِّيَّة، فليس لها أدنى مُبرِّرٍ في المُجتمعات الإسلاميَّة

المُقدَّسة؛ ذلك أنَّ الإسلام دين واقعيّ، وليس دينًا سطحيًّا يقفز على الواقع الإنساني، ويستغرق فيه؛ بل إنَّه اختار في تعامله مع الإنسان الموقف الاعتداليّ والوسطيّ، فهو واقف بين القَفْز على الواقع الإنسانيّ، وبين الانهماك فيه.

ويُمكن إدراك ذلك في أنَّ الإسلام لمَّا أمر الإنسان المسلم بطلب الآخرة التي هي الجانب الرُّوحيّ، ودار القرار له؛ فهو في الوقت نفسه أمره بطلب الدُّنيا التي هي الجانب المادّيّ له؛ شريطة أنْ يكون ذلك محكومًا بميزان شرع اللَّه عزّ وجلّ، وفي حُدود أوامره ونواهيه. قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1].

وكيف يُسوِّغ للإسلام أنْ يرحِّب بمثل هذه الأفكار التي تَسْعى لهدم القِيَم الإنسانيَّة، وتعمل بالجدِّيَّة على تشويه المُقدَّسات الدِّينيَّة، وتتغنَّى بالحُكم بغير ما أنزل اللَّه، وقد وصف اللَّه تعالى من لم يحكم بشريعته، تارة بالكفر، وتارة بالظُّلم، وتارة أُخرى بالفسق، في قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2]، وفي قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3]، وفي قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[4].

ثمّ إنَّ العلمانيَّة من بنات أفكار اليهود والنّصارى الذين حذَّرنا اللَّه ورسوله من التَّشبُّه بهم، واتِّخاذهم بطانة وأولياء في غير ما آية في القرآن الكريم، فقال عزّت حكمته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ

(1) سورة القصص، الآية: 77.
(2) سورة المائدة، الآية: 44.
(3) سورة المائدة، الآية: 45.
(4) سورة المائدة، الآية: 47.

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1].

فهذه الآيات الكريمات وأخواتها الأُخريات تُحذِّر المسلمين من اتِّخاذ الكفّار من اليهود والنَّصارى بطانة وأولياء من دون المؤمنين، يلقون إليهم بالمؤدَّة، ويتَّبعونهم في جميع مساعيهم. . .

خاتمة البحث:

بعد هذه الرّحلة العلميَّة البسيطة، يرى الباحث أنَّه من الجدير بالمقام أنْ يُلخِّص أهمّ ما توصَّل إليه من النَّتائج في هذا العمل؛ وذلك في النِّقاط الآتية:

1 - أنَّ مُصطلح «العلمانيَّة» سواء نطقناه بفتح العين، أو بكسرها، ليس من العربيَّة في شيء؛ ولذا لم يرد ذكره في أمَّهات المعاجم العربيَّة.

2 - أنَّ نسبة «العلمانيَّة» إلى «العلم» أو إلى «العالم» نسبة مُتكلِّفة غير دقيقة؛ إذ ليس لها مسوّغٌ في اللُّغة العربيَّة الفصيحة. إلى جانب أنَّ العلمانيَّة ليس لها عَلاقة بالعلم؛ لأنَّ العلم لا يرفض الدِّين، ولا الدِّين يرفض العلم لما بينهما من العَلاقة المُترابطة المتينة. ولو صحّت نسبتها إلى العالم من حيث الاشتقاق لكانت أقرب ما يكون إلى العالم لما بينهما من العلاقة في المعنى لا في اللَّفظ.

3 - أنّ «العلمانيّة» كما أفادته المعاجم والقواميس الغربيَّة هي كلمة لاتينيَّة تعني: الدّنيويَّة واللادينيَّة، بل هي فكرة توجِّه الاهتمام نحو الدّنيا وتَصْرف الاهتمام عن الآخرة، ولذا تَسْعى وراء فصل الدِّين عن الدَّولة، والرّوح عن المادَّة فصلًا كُلِّيًّا أو جُزئيًّا في كُلّ مجالات الحياة.

4 - أنّ ظاهرة العلمانيّة نبتت في أُوروبا خِلال القرن التَّاسع عشر نتيجة للطُّغيان الكنسي، وتمرُّد البابوات ورجال الدِّين على أتباعهم، ثمَّ ساعد

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 118-119.

قِيام الثّورة الفرنسيَّة على تطوُّرها وسُرعة تقبُّلها وذيوعها في المُجتمعات الأُوروبيَّة، إلى أنْ عمَّت بها البَلْوى في كثيرٍ من دول العالم بشيء من التَّدريج.

5 - وقد ظهرت العلمانيَّة وانتشرت في الدُّول الإسلاميَّة في مطلع القرن التَّاسع عشر، لمَّا أصاب المسلمين انحراف في عقيدتهم وفي منهجهم وفي سُلوكهم، ثمّ زاد الطِّين بلَّة توارد مؤسَّسات الاستعمار والاستشراق والتنصير والاستغراب على بلاد المسلمين، فاستطاع الغرب الألدّ بثّ أفكار العلمانيّة في المُجتمعات الإسلاميَّة وتركيبها في أذهان المُسلمين وعُقولهم بمُختلف أساليب وطُرق العَلْمنة المؤثّرة.

6 - أمَّا الأهداف التي تَسْعى إليها العلمانيَّة وتعمل لتحقيقها فهي فَصْل الدِّين عن الحياة، ولا فرق في ذلك بين الإسلام واليهوديَّة والمسيحيَّة، وكلّ الأديان في التَّعامل معها سَواء، وإن كانت أكثر وأشدّ عداوة للإسلام من غيره. كما تَسْعى إلى تخريب الإنسان كُلِّيًّا بتجريده وقَطْعه عن العَلاقة الرُّوحيَّة التي بها يحيا حياة طيِّبة ويَسْمو بها إلى خالقه. وكذا يهدف إلى السَّيطرة الكاملة على العالم ومُمتلكاته.

7 - وقد خلَّفت ظاهرة العلمانيَّة الآثار السَّيِّئة في بلاد المُسلمين على علَّاتها، من ذلك: الحكم بغير ما أنزل الله. والبعد عن شريعة الله. وإقصاء اللُّغة العربيَّة عن الحياة، وإحلال اللُّغات الأُخرى محلَّها. وانتشار الفوضى والأمراض المُدمِّرة في المُجتمعات الإسلاميَّة. وتبرُّج النِّساء تبرُّج الجاهليَّة الأُولى بِسَبَب نبذ الحِجَاب والزّيّ الإسلاميّ وراء ظُهورهنّ. ومن ذلك -أيضًا- مُحاكاة الغرب اليهودي والمسيحي في كثير من الأُمور: في اللِّباس، والأكل، والشرب، والزَّواج والتَّعليم، وفي البيع والشِّراء، وغير ذلك.

8 - ولهذا كُلّه وقف الإسلام -ولم يزل يقف- ضدّ العلمانيّة والعلمانيّين، ولم يعبأ بشأنها قطّ؛ لمُعاداتها ومُضادّتها للمبادئ والقِيَم والمُقدَّسات الإسلاميَّة.

9 - وأخيرًا، يقترح الباحث أنْ تصرف الأُمَّة عنايتها لقمع طغيان العلمانيّة واستئصال شأفتها من الجُذور، حتى تضمحلّ وتختفي آثارها من بلاد المُسلمين. ولا يتحقَّق ذلك إلَّا بالعودة إلى تطبيق مبادئ ديننا الحنيف تطبيقًا عمليًّا في جميع جوانبها الاعتقاديَّة والعمليَّة والسُّلوكيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة... وأنْ تنبذ كُلّ الأفكار الغربيَّة المُنحرفة وراء ظُهورها لكي تتأتَّى لها خيريَّتها الدِّنيويَّة والأُخرويَّة التي أشار إليها القرآن في قوله جلّ شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

10 -ثمّ على عُلمائنا الباحثين ألّا يسكتوا عن بيان أضرار العلمانيّة وأخطارها على أبناء هذه الأُمّة؛ لما ينتج عنها من العمل بالجدِّيَّة على إفساد عقيدتهم، وطمس بصيرتهم، وعُزوفهم عن الإسلام وتعاليمه الرَّبانيَّة.

(1) سورة آل عمران، الآية: 110.